

الحلقة الثانية  
قصص السيرة

القصص النبوية

فتح مكة

عبد الحميد جودة السحار

١٩

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا  
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَتُتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ،  
وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .

(قرآن کریم)

عُقِدَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُرَيْشٍ ،  
 وَجَاءَ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ : أَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يُحَالِفَ  
 مُحَمَّدًا فَلْيُحَالِفْهُ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَالِفَ قُرَيْشًا  
 فَلْيُحَالِفْهَا ؛ فَحَالَفَتْ بَنُو بَكْرٍ قُرَيْشًا ، وَحَالَفَتْ  
 خُزَاعَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

وَبَيْنَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ ،  
 جَاءَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قُرَيْشًا  
 وَبَنِي بَكْرٍ اعْتَدُوا عَلَى قَبِيلَتِهِ خُزَاعَةَ ، وَهِيَ الْقَبِيلَةُ  
 الَّتِي حَالَفَتْ رَسُولَ اللَّهِ ، وَطَلَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ  
 يَنْصُرَ حَلِيفَتَهُ ؛ وَلَمَّا كَانَ فِي اعْتِدَاءِ قُرَيْشٍ وَحَلِيفَتِهَا  
 عَلَى خُزَاعَةَ حَلِيفَةَ الرَّسُولِ ، نَقَضَ لِلْمُعَاهَدَةِ ، فَإِنَّ

رسول الله ﷺ قال لعمر بن سالم :

- نصرت يا عمرو بن سالم .

وخاف أبو سفيان أن تشكو قبيلة خزاعة إلى حليفها النبي ، مما فعلته قريش ، فخرج إلى المدينة ليقابل رسول الله ، ويؤكد المعاهدة ، ودخل على ابنته أم حبيبة ، وكانت قد تزوجت من رسول الله ، فلما أراد أبو سفيان أن يجلس على فراش رسول الله ، طوته أم حبيبة عنه ، فغضب وقال :

- يا بنية ما أدري : أرغبت بي عن هذا الفراش ،

أم رغبت به عني ؟

ف قالت له ابنته :

- بلى ، هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل

مشرک نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش



رسول الله ﷺ .

فقال وهو غضبان :

- والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعدى شر .

وخرج أبو سفيان حتى أتى رسول الله فكلَّمهُ ،  
فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلَّمهُ  
أن يكلّم له رسول الله ، فقال :

- ما أنا بفاعل .

وذهب إلى عُمَرَ بن الخطَّاب ، فرفض أن يكلّم له  
رسول الله ، فدخل على علي بن أبي طالب ،  
وعنده فاطمة بنت رسول الله ، فقال :

- يا علي ، إنك أمسُّ القومِ بي رحماً ، وإنى قد  
جئتُ في حاجة ، فلا أرجعَنَّ كما جئتُ خائباً ،  
فاشفعْ لى إلى رسول الله .

ورفض عليٌّ أن يشفعَ له ، فعاد أبو سفيان سيِّدُ قريشٍ خائبًا ؛ لم يجد من يكلمُ له رسولَ الله ، لأن رسولَ الله كان قد وعدَ حلفاءه أن ينصرهم على من نقضوا عهده .

## ٢

أمر رسولُ الله ﷺ المسلمين أن يتجهَّزوا للخروج ، ولم يقلْ لهم أين يريد ، فلما تمَّ كلُّ شيء ، أعلم الناس أنه ذاهبٌ إلى مكة ، وأمرهم أن يُسرِعوا في سيرهم ، قبل أن تعلمَ قريشٌ بخروجه ، ويستعدُّوا لمقابلته ؛ كان يُحبُّ أن يدخلَ مكة ، دون أن يُريقَ دما ، وراح يدعو الله :

- اللهم خذِ العيون والأخبارَ عن قريش ، حتَّى

نَبَغَتْهَا ( أَى نَفَاجَتْهَا ) فِى بِلَادِهَا .  
وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ لِسَفَرِهِ ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ مِنْ  
مَكَّةَ عَسَّكَرَ خَارِجَهَا ، وَكَانَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ قَابِلُهُ فِى الطَّرِيقِ عُمَةُ الْعَبَّاسِ ، جَاءَ  
إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ يُغْلِنُ إِسْلَامَهُ ، فَعَادَ لِيَدْخُلَ مَعَهُ مَكَّةَ .  
وَجَاءَ اللَّيْلُ ، فَأَشْعَلَ الْمُسْلِمُونَ النُّيرانَ ، وَرَاحُوا  
يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ ، كَانُوا فِى النَّهَارِ فَرَسَانَا ،  
وَفِى اللَّيْلِ رُهْبَانَا .

٣

رَكِبَ الْعَبَّاسُ بَغْلَةَ الرَّسُولِ ، وَخَرَجَ مِنْ فَعَسَّكَرِ  
الْمُسْلِمِينَ ، يَبْحَثُ عَنْ حَطَّابٍ أَوْ صَاحِبِ لَبَنٍ أَوْ ذِى  
حَاجَةٍ ، لِيُرْسِلَهُ إِلَى مَكَّةَ ، يَذْكُرُ لِأَهْلِهَا أَنَّ رَسُولَ

اللَّهُ ﷻ قد جاء في جيشٍ لا قُدرةَ لهم به ، ويخبرُهم أن يخرجوا إليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلها عليهم عَنوة .

وفي ذلك الوقت كان أبو سفيان وبعضُ الرجال قد خرجوا يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً . فلما رأوا النيرانَ ذهبوا ينظرون ، فقال أبو سفيان :

— ما رأيتُ كالليلةِ نيراناً قطُّ ولا عسكراً .

فقال رجلٌ معه :

— هذه والله خِزاعة .

فقال أبو سفيان : « خِزاعةٌ أذلُّ وأقلُّ من أن

تكونَ هذه نيرانها وعسكرُها » .

وفي جوفِ الليل ، سمع العباسُ صوتَ أبي سفيان

فعرَفه ، فقال له :



- وَيَحْكُ يَا أَبَا سَفْيَانَ ! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي  
النَّاسِ . وَاصْبَحْ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ .  
قَالَ أَبُو سَفْيَانَ :

- فَمَا الْحِيلَةُ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي .

قَالَ الْعَبَّاسُ :

- وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِكَ لِيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، فَارْكَبْ فِي  
عَجْزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ ، حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ .

فَرَكِبَ أَبُو سَفْيَانَ خَلْفَ الْعَبَّاسِ ، وَذَهَبَا إِلَى حَيْثُ  
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَكَانَا كُلَّمَا مَرَّ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ  
الْمُسْلِمِينَ ، سَمِعَا صَوْتًا يُنَادِي : مَنْ هَذَا ؟

وَحِينَمَا يَرَوْنَ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَعَلَيْهَا الْعَبَّاسُ  
يَقُولُونَ :

- عمُّ رسولِ الله ﷺ على بَغْلَتِهِ . وَيُفْسِحُونَ  
الطريق ، حتى إذا مرَّ ابنُ عمرَ بن الخطاب ، ورأى  
عمرُ أبا سفيان ، قام إليه يصيح :

- أبو سفيان عدوُّ الله ، الحمدُ لله الذي أمكن  
منك ، بغيرِ عَقْدٍ ولا عهد !

وراح عمرُ يجرى إلى حيثُ كان رسولُ الله ،  
وراح العباسُ يستحثُّ البَغْلَةَ على الجُرَى . كان كلُّ  
منهما يحاولُ أن يصلَ إلى رسولِ الله قبلَ الآخرِ ،  
ووصلَ العباسُ إلى حيثُ كان الرسولُ ، ودخلَ  
عليه ، ودخلَ عمرُ خلفه ، وقال عمر :

- يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان قد أمكنَ الله  
منه بغيرِ عَقْدٍ ولا عهد ، فدَعْنِي فلاضربُ عُنُقِهِ .  
قال العباس :

- يا رسول الله ، إني قد أجزته .

وصرف السي عمر والعباس وأبا سفيان ، وقال  
لعمه :

- اذهب به يا عباس إلى رجليك ، فإذا أصبحت  
فأتني به .

٤

أصبح الصباح ، فجاء العباس ومعه أبو سفيان إلى  
رسول الله ، فلما رأى رسول الله أبا سفيان ، قال  
له :

- ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن ( يعني ألم يحن )  
لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟  
قال أبو سفيان :

— بأبي أنت وأُمِّي ، ما أحلَمَكَ وأكرمَكَ  
وأوصلَكَ ؟ واللَّه لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلهٌ  
غيره ، لقد أغنى عني شيئاً بعد .

قال رسولُ الله ﷺ :

— ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني  
رسولُ الله ؟

قال : « بأبي أنت وأُمِّي ، ما أحلَمَكَ وأكرمَكَ  
وأوصلَكَ ! أمّا هذه والله فإن في النفسِ منها حتى  
الآن شيئاً » .

فقال له العباس :

— ويحك ! أسلمَ واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن  
محمدًا رسولُ الله ، قبل أن تُضربَ عُقُوكُ  
فقال أبو سفيان :

— أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله .

فقال العباس :

— إنَّ أبا سُفيان رجلٌ يُحبُّ هذا الفخر ، فاجْعَلْ

له شيئاً .

قال رسولُ الله ﷺ :

— نعم ، من دخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمن ، ومن

أغلقَ بابَه فهو آمِن ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمِن .

## ٥

وتأهبَّ جيشُ المسلمينَ لدخولِ مكة ، وركبَ

رسولُ الله ناقةً ، وذهب أبو سُفيانُ يصرُخ :

— من دخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِن ، ومن أغلقَ

بابَه فهو آمِن ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمِن .



ودخل المسلمون مكة وقد اختبأ الناس في دورهم ،  
 فسجد رسول الله ﷺ على ظهر ناقته شكراً لله ،  
 فقد دخل مكة منتصراً بعد أن خرج منها خائفاً يترقب .  
 واطمأن الناس إلى أن رسول الله لن يبطش بهم ،  
 فخرجوا إليه ، وذهب رسول الله وصحبه إلى البيت  
 يطوفون به ، ووقف رسول الله على باب الكعبة ،  
 وقال :

— لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق  
 وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .  
 يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة  
 الجاهلية ، وتعتظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم  
 من تراب . « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر  
 وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ .

يا مَعْشَرَ قُرَيْشَ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟

قالوا :

- خَيْرًا ، أَخُ كَرِيم ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيم .

وعفا رسولُ الله عنهم جميعًا ، عفا عَمَّنْ آذَوْهُ

واضطهدوه ، وأخرجوه من دياره ، فقال لهم :

- اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ .

وَدَخَلَ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَجَعَلُوا

يَكْسِرُونَ أَصْنَامَهَا وَيَقُولُونَ :

- قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا .

ولما تطهرت الكعبةُ عن الأصنام ، اعتلى بلال

الكعبة ، وراح يُؤذِّنُ لأوَّلِ مرَّةٍ في مكة :

الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !  
أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن لا إله إلا الله .  
أشهد أن محمداً رسول الله .. أشهد أن محمداً  
رسول الله .

حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة .  
حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح .  
الله أكبر ! الله أكبر !  
لا إله إلا الله .

ومنذ ذلك الوقت ، أصبح صوت المؤذن يجلجل  
في الكعبة في كل يوم خمس مرات ، فقد هجر  
العرب عبادة الأصنام ، وأصبحوا يعبدون الله  
وحده .